Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

هاجَر

« إن الصَّفَا والمروةَ مِن شعائرِ الله فمَنْ حجَّ البَيتَ أواعْتَمَر فلا جُناحَ عليه أن يَطَّوفَ بهما ، ومَن تطوعَ خيراً فإن الله شاكرٌ عليم » .
صدق الله العظيم

انطلقت بنا السيارة من « جدة » مسرعة ، تريد أن تبلغ بنا « مكة » قبل أن يدركنا الليل ويلفنا الظلام . وقد أخذتنا شبه غفوة حالمة ونحن نحدق فى الجبال الصخرية التى تحف بجانبى الطريق فى شموخ ، وأشعة الغروب تلقى ظُلة رقيقة من ضوئها الشاحب على القمم الجرداء ، ثم تنساب فى رفق على السفوح العارية التى أرهقها قيظ النهار .

وأوشكت السيارة أن تتم سبعين كيلومتراً ونحن لا نرى على الأفق سوى الجبال الصم والتلال المتراكبة والأودية الضيقة المفروشة بالحصى والرمال . . ثم لاحت لنا « مكة » فجأة من بين الفجاج ، فلم نتمالك أن هتفنا من أعماق قلوبنا فى ضراعة وابتهال :

« لبيك اللهم لبيك . . »

ورددت البطاح أصداء هتافنا ، فخيل إلينا أن الوادى قد امتلأ بحشود المسلمين الأولين ، تتدفق من ناحية الشمال لتدخل « مكة » فاتحة ملبية ، وعلى رأسها « القصواء » ناقة الرسول ، تعود إلى البلد الحرام بعد أن تسللت منه خفية إلى دار الهجرة قبل ثمانى سنين ، ناجية بصاحبها ﷺ ، من كيد طواغيت المشركين ومطاردتهم الشرسة . .

* * *

وطفنا بالكعبة سبعاً ، ثم خرجنا نسعى بين الصَّفا والمروة حتى إذا أتممنا المسعى جلستُ على دَرَج المروة ، تجاهَ الوادى ، وقد طاب لى حينذاك أن أعتزل الصحبَ زاهدةً فيما شُغلوا به من حديث .

ولم أكن حتى تلك اللحظة ، أفكر فى شىء سوى هذا التاريخ الرائع الممتد الذى صنعه أمىٌّ يتيم ، شهدته بطحاء مكة يرعى الغنم ، أو يخرج من القوافل أجيراً أميناً لبعض أثرياء التجار من قريش . ثم اصطفاه الله رسولاً ، فما مات حتى وطئ بقدميه أصنام الكعبة ،